

دراسات ميدانية في أثر الصراع في سوريا على المجتمع

الفرصة الضائعة لسلطة المعارضة السورية

الرقعة: من عبادة الأسد إلى سيف الدولة الإسلامية

خلف علي الخلف



مركز دراسات الجمهورية الديمقراطية

[www.drsc-sy.org](http://www.drsc-sy.org)



## دراسات ميدانية في أثر الصراع في سوريا على المجتمع

# الفرصة الضائعة لسلطة المعارضة السورية

الرقة: من عباءة الأسد إلى سيف

الدولة الإسلامية

خلف علي الخلف

استشارة:

الأستاذ أنور البني، مدير المركز السوري للدراسات  
والأبحاث القانونية.

أ.د يوسف سلامة، المدير العلمي لمركز دراسات  
الجمهورية الديمقراطية

خلف علي الخلف

كاتب، شاعر. عمل رئيس تحرير  
للجريدة الإلكترونية "جدار"، وعمل  
رئيساً لقسم تحليل البيانات  
والتطوير في إيلاف، ثم مديراً  
لمدونات إيلاف.

صدر له ديوانٌ بعنوان "يوميات  
الحرب القائمة".

## جميع الحقوق محفوظة لمركز دراسات الجمهوريّة الديمقراطيّة

### الفهرس

4	مقدمة موجزة عن قراءة الفشل
6	تمهيد لقراءة الفشل
9	الرقة: خلفية ديموغرافية
9	الرقة عند تحريرها: صورة مختصرة
10	تل أبيض: نقطة تحوّل
11	الطبقة: نقطة اختبار
12	مدينة الرقة: لحظة سقوط التمثال
13	الخريطة العسكريّة من التحرير إلى سيطرة الدولة الإسلاميّة
16	الإدارة المدنيّة بعد التحرير
17	المنظمات الشبابية والمهنية
18	مشروع أحرار الشام
20	الدولة الإسلاميّة في الرقة
22	الائتلاف وأصدقاؤه الدوليون: فرجة متقطعة على مصير المحافظة
22	التحالف الدوليّ لمواجهة الدولة
23	الخاتمة

## مقدمة موجزة عن قراءة الفشل

ظَلَّت الرقة في أدبيات "النظام" تُصنّف كمحافظةٍ نامية، إضافة إلى محافظات الجزيرة السورية الأخرى [دير الزور والحسكة] وكانت الفائدة العملية الوحيدة التي تجنيها المحافظة من هذا التصنيف هو بضع علامات تخفيضٍ عن المجموع المطلوب للتسجيل في بعض الكليات الجامعيّة يحصل عليها طلبتها؛ أما غير ذلك فهي "محافظة منهوبة" كما يطلق عليها أهلها.

لِعقودٍ طويلةٍ ظلَّت المدينة خاليةً من الحراك السياسيّ أسوةً بكلّ سوريا التي صحرها النظام وجفّف منابع النشاط السياسي فيها، لذا عندما قامت الثورة السوريّة في آذار/مارس من العام 2011 وجدت المدينة نفسها أسوةً بكلّ سوريا خاليةً من الكوادر المؤهلة لقيادة النشاط السياسيّ والحراك المدنيّ السلميّ في مواجهة بطش النظام. لم تتأخر الرقة كثيراً لتلتحق بالثورة السورية فقد خرجت أول مظاهرة فيها بتاريخ 25 آذار/مارس، 2011، لكن حراكها ضد النظام لم يتواصل، وبقي محدوداً ومتقطعاً حتى وقتٍ قريبٍ من تحريرها من سيطرة النظام [2013/3/4] الذي بدا للوهلة الأولى مفاجئاً في محافظة لم يشهد فيها الحراك السلميّ تواتراً كما في محافظات أخرى.

وجدت المحافظة نفسها في فراغ للسلطة، كان على أبنائها وعلى قوى المعارضة بذل جهودٍ جادّة مبنية على خطةٍ إستراتيجية لملء هذا الفراغ، لكن الوقائع اللاحقة أظهرت أن الجميع فشل في هذا المسعى وعجز عن إدارة المدينة وتقديمها كنموذج للمناطق المحررة بوصفها أول محافظة تُحرّر بشكلٍ تامٍّ من سيطرة النظام، لتقع مرةً أخرى تحت سلطة ما سُمّي "الدولة الإسلامية" التي جعلت من الرقة عاصمتها الأولى.

تعرض هذه المادة بشكلٍ موجزٍ "أسباب الفشل"، وتعرض وقائعه في محاولة لأن يستخلص القارئ بنفسه الإجابة عن التساؤلات التي طرحها عموم السوريين المعارضين للنظام عن أسباب هذا الفشل، الذي جعل من الرقة فرصةً ضائعةً ومهدورةً من قوى الثورة والمعارضة لتقديم نفسها

لشعبها أولاً وللعالم ثانياً كقوى جادة ومؤهلة لإدارة مدينة أصبحت خارج سيطرة النظام وفقاً للأهداف التي قامت على أساسها الثورة السورية.

هل كانت أسباب هذا الفشل ذاتية تخصّ أهل المدينة، أم لها علاقة بتقاعس "قوى المعارضة" عن العمل الجادّ في مساعدة السكان المحليّين لإدارة مدينتهم! أم أن السبب الحاسم للفشل هو الظروف الإقليمية والدولية المحيطة بالثورة السورية التي لا يمكن أن يكون التعامل مع الرقة خارج سياقها.

وحتى مع الأخذ بعين الاعتبار التعامل الإقليمي والدوليّ مع الثورة السورية وقواها ومخرجاتها، الذي إن لم يؤدّ لفشلها فهو لن يكرّس نجاحها، هل كانت "الدولة الإسلامية" قدراً لا مفرّ منه لمسار تطوّر الأحداث في الرقة! إم إن تمكينها من الرقة كان نتيجةً لفوضى التعامل مع المدينة والفشل في إدارتها!

تأتي ضرورة هذه المادة من "السيناريو المتكرر"، الذي قامت عليه "الإستراتيجية المبعثرة" للعمل العسكريّ المسلّح ضدّ النظام في سوريا وانتزاع السيطرة منه على مناطق جغرافية لا تشكل امتداداً متكاملأً متصلأً، بل مناطقياً يبقى محاصراً أو متقطعاً بحدود لا تخضع لسيطرة المعارضة سواء كان هذا التقطيع من النظام أو من "الدولة الإسلامية" لاحقاً. هذه الإستراتيجية المبعثرة في تحرير المناطق التي يعقبها الفشل في إدارتها مدنياً أو حتى تركيبها في إطار اللوحة الموحدة التي هي سوريا، لتشكل قطعاً في لوحة "بازل" تهدف لبناء سوريا؛ أو حتى لإدارتها ضمن نسقٍ عامٍ يهدف إلى رؤيتها في إطار سوريا موحدة خارجة عن سيطرة النظام، أو حتى في استثمار هذه المناطق المحررة في رؤية متكاملةٍ للخلاص من النظام بشكل نهائيّ.

إن بناء هذه المادة بشكلٍ كليّ على محافظة الرقة يستجيب لأغراضٍ موضوعيّة كونها تشكّل وحدةً جغرافيّة متكاملة كمحافظة، ولأسبابٍ أخرى ذاتية لها علاقة بالإحاطة بتفاصيل المدينة وانتقالها من عهد "الدولة الأُسديّة" إلى عهد "الدولة الإسلاميّة"، ونرى أنها تشكّل ميداناً جيداً لقراءة تعامل الجميع مع "منطقة محررة" ذات اتصالٍ جغرافيٍّ وبنية ديموغرافية منسجمة، بدءاً من القوى المحلية والأهلية، مروراً بالائتلاف الوطنيّ السوريّ لقوى الثورة والمعارضة، وقوى

المعارضة الأخرى إضافة للهيئة العامّة لأركان الجيش السوري الحرّ التي تعتبر الذراع العسكرية للاتلاف الذي كان يحظى بشرعيّة وغطاء دولي في حينها.

ويمكن أن يشكّل البحث بناءً نظرياً يمكن الإفادة منه في مناطق أو محافظاتٍ أخرى يتكرر فيها "سيناريو الرقة"، ويوضح صورة هذا الانتقال ويضمّر الإجابة عن التساؤلات المتعلقة بمسار الفشل، ويحلل الوقائع بشكلٍ مضمّر أثناء عرضها بما لا يخلّ بحيادية عرض الوقائع المثبتة، التي جاءت موجزةً وتخلو من التفاصيل التي يمكن أن تستغرق كتاباً كاملاً من مئات الصفحات.

لابدّ من التأكيد على أن البناء السردّي للوقائع التي حدثت في المدينة هو حصيلة متابعة الكاتب لهذه الوقائع، والمشاركة في بعض مفاصلها الرئيسية، وتدقيق بعض المعلومات من مصادر شفهيّة مشاركة في تلك الأحداث، والهوامش جاءت بمنزلة إسنادٍ لهذه الوقائع وليس اقتباساً منها أو الاطلاع من خلالها على هذه الوقائع، وفي هذا السياق تحديداً كانت الصعوبات تكمن في إيجاد مصادر للإسناد مطابقة للوقائع أو قريبة منها على أقلّ تقدير أو تحيط بالموضوع أو تشير له في بعض الأحيان، وتشكل الهوامش، التي استغرق إيجادها وقتاً يعادل أو يفوق مادة البحث الأصلية، مادةً تفصيليّةً غنيّة تحيط بكل جوانب البحث؛ ذلك أن الرقة كانت مهملة في مصادر الأخبار التي تحظى بالموثوقية أو الانتشار على أقلّ تقدير.

### تمهيد لقراءة الفشل

مع كثرة الطلعات الجويّة، وغارات التحالف، والتصريحات الأمريكيّة التي تقود هذا التحالف، ضد تنظيم «الدولة الإسلامية»، وتنظيماتٍ متطرفةٍ أخرى، إلا أن سوريا بقيت مهملة في التصورات الأمريكية لما بعد القضاء على «الإرهابيين» الذين أعلنوا أنفسهم «دولة إسلامية». وظلّت النوايا الأمريكية يحيطها الغموض «البناء» فيما يخصّ طريقة تعاملها مع الحيز الجغرافي السوري، الذي تحتله هذه "الدولة" أولاً والذي يحتله النظام ثانياً.

وعندما أعلن الرئيس الأمريكي باراك أوباما في 10 أيلول/سبتمبر إستراتيجيته لمواجهة التنظيم، فإنه استخدم اختصاراً غير شائع في وسائل الإعلام الغربية [ISIL] وهو الذي يشير إلى «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، لكن حرف L اختصاراً لـ [Levant] الذي يشير إلى الشام في

التعبيرات العربية، ويشير إلى شرق المتوسط في التعبيرات الغربية، وهو إلى ذلك اختصار غير شائع في وسائل الإعلام الغربية، وقد ابتعد أوباما في هذا عن الاختصار الأكثر شيوعاً [ISIS] الذي يشير إلى سوريا مباشرة وكذلك اختصار [IS] الذي يشير إلى الدولة الإسلامية برقعة جغرافية جزء منها أرض سورية<sup>(1)</sup>.

هذا ذو دلالة واضحة على محاولة تجنب سوريا كوضع شائك، وإذ وردت الإشارة إلى سوريا في الخطاب المذكور للرئيس الأمريكي 12 مرة، فإنه خلا من إشارات جادة لطريقة مواجهة التنظيم في سوريا، والذي اقتصر حتى كتابة هذه السطور على ضربات جوية، وإلقاء أسلحة من الجو للمقاتلين الأكراد الذين قاتلوا "الدولة الإسلامية" في عين العرب / كوباني، وأخرجوها منها، وقاتل إلى جانبهم لواء ثوار الرقة الذي تضاعف حجمه وعدده بعد خروجه من الرقة إثر سيطرة الدولة عليها.

ورغم ذلك فإن الرئيس الأمريكي تحدث في خطابه عن " العمل من أجل التوصل إلى حلّ سياسيّ للأزمة في سوريا مرة واحدة ونهائياً" دون إيضاحات تذكر لهذا العمل، أو لمسار حلّ «الأزمة» مرة واحدة ونهائياً.

وفي البيان الختامي لاجتماع جدة المنعقد في 11 أيلول/ سبتمبر، والمخصّص لمناقشة الحرب ضدّ تنظيم «الدولة الإسلامية»؛ والذي يعتبر إطلافاً رسمياً للتحالف، بعد أن وقعت عليه، إضافة لدول مجلس التعاون الخليجي، كلٌّ من مصر ولبنان والأردن والعراق ولم توقع عليه تركيا التي حضرت الاجتماع، استُخدم في نسخته الإنكليزية اختصار [ISIL] «الأوبامي»، ووردت سوريا مرة واحدة في البيان، ملحقة بـ «ناقش المجتمعون إستراتيجية القضاء... في كلّ مكان»، وهو إشارة لافتة للتأكيد على أن الشقّ السوريّ كان غائماً في ذهن التحالف أو لم يحظَ بإجماع المجتمعين على سبل معالجته<sup>(2)</sup>.

ومع بداية الضربات الأمريكية لمواقع "الدولة الإسلامية" في سوريا<sup>(3)</sup>، والإعلانات المتكررة أن الحرب عليها ستطول سنوات؛ لا أحد يعرف على وجه اليقين كيف سيُملأ الفراغ في حال تمّ

1 - نص خطاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما - موقع البيت الأبيض - 10 أيلول 2014 - <http://goo.gl/zhbaEw>  
2 - نص البيان الختامي لتحالف جدة - موقع وزارة الخارجية الأمريكية - 11 أيلول 2014 - <http://goo.gl/IH7UWG>  
3 - العمليات العسكرية ضد داعش - موسوعة ويكيبيديا - بدون تاريخ - <http://goo.gl/5ZWGOH>

القضاء على قوات الدولة الإسلامية، عدا عن تصريحات متكررة للإدارة الأمريكية وحلفائها في التحالف بأنها ستقوم بتدريب خمسة آلاف مقاتلٍ من قوات المعارضة المعتدلة، تمّ رفعها لاحقاً إلى 15 ألف مقاتل. لكن الضربات بدأت دون أن يكون هناك مقاتلون من "المعارضة المعتدلة" على الأرض في مناطق سيطرة الدولة، وبقيت "المعارضة المعتدلة" غائمة بدون تعريف أو تحديد، وبقيت الخطة الأمريكية غامضة، لا أحد يعرف مساراتها<sup>(4)</sup>. كما أن اجتماع التحالف الدولي في بروكسيل الذي اجتمع بدعوة من وزير الخارجية الأمريكية وشاركت فيه 60 دولة، وحضر وفدٌ رفيعٌ من العراق، لم يشارك به أحد من المعارضة السورية التي ذكرت كشريكٍ في الحرب على "الدولة الإسلامية" على الأقل، كما تحدث بصورةٍ ضبابيةٍ عن الوضع السوري، إذ دعا البيان الختامي "جميع أطراف النزاع في سوريا على احترام القانون الإنساني الدولي"، وأشار المشاركون بقلقٍ متزايدٍ إلى معاناة الشعب السوري<sup>(5)</sup>.

وإذا كان هذا التمهيد يشكّل مدخلاً مناسباً لمناقشة تخبّط السياسة الأمريكية في الوضع السوريّ عموماً وغياب إستراتيجية واضحةٍ للتعامل معه، سوى بالحديث عن الحلّ السياسيّ للأزمة دون أدوات واضحة لهذا «الحلّ السياسيّ». هذا التخبّط الذي يبدو أنه انتقل للتحالف الذي يخضع لقيادة الإدارة الأمريكية نفسها التي مارست هذا التخبّط وتستمرّ فيه. ولا أحد يعلم المسارات التي سيتخذها في الجانب السوري. لكن تركيا التي لم توقع على بيان "تحالف جدة" دخلت كعاملٍ مُعدّلٍ لمسار التخبّط بإعلان شروطها للمشاركة في أيّ عملية عسكرية في سوريا؛ التي لخصها الرئيس التركي؛ بإعلان منطقة حظرٍ جويّ، وإقامة منطقة آمنة، وتدريب السوريين وتزويدهم بالسلاح، وشن عملية ضد النظام السوري نفسه. و"بدون تحقيق هذه المطالب لا يمكن أن نشارك في أيّ عمليات" حسب ما أعلن الرئيس التركي بوضوح<sup>(6)</sup>.

وإذا كانت "الدولة الإسلامية" تمتدُّ على أراضٍ شاسعةٍ بين سوريا والعراق، فإنه من المفيد لأغراض الدقة والبحث قصر الحيز الجغرافيّ للبحث حتى في هذا الجانب على محافظة الرقة

4 - تفاصيل برنامج أمريكا لدعم المعارضة السورية - الشرق الأوسط - 21 شباط 2015 - <http://goo.gl/0X9Lsa>

5 - نص البيان الختامي لشركاء التحالف الدولي - موقع الخارجية الأمريكية - 4 كانون الأول 2014 - <http://goo.gl/bkvPir>

6 - أردوغان يجدر شروط للانضمام إلى التحالف - شفتنا التركية - 20 تشرين الأول 2014 - <http://goo.gl/Xr5x3a>



التي أعلنت «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، عن وجودها الفعلي فيها للمرة الأولى، والتي كانت قبل احتلال الموصل عاصمة «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

### الرقة: خلفية ديموغرافية

تقع محافظة الرقة في المنطقة الشمالية الشرقية من سوريا، وتبلغ مساحتها 19620 كم<sup>2</sup> وتشكّل 10.6% من مساحة سوريا. يحدّها من الشمال تركيا ومن الشرق محافظتا دير الزور والحسكة ومن الجنوب محافظة حمص ومن الغرب محافظتا حلب وحماه. وتشكّل منطقة ربط بين محافظات الجزيرة والمحافظات الشمالية والوسطى. يبلغ عدد سكانها نحو المليون نسمة، نصفهم تقريباً في المدينة وريف المركز، وفقاً لتقديرات المكتب المركزي للإحصاء في عام 2010، ويقدر حاليّاً بأكثر من مليون ومئة ألف نسمة، يعتمد أكثر من 75% من السكان في دخلهم بشكل أساسي على الزراعة، ويشكّل القمح والشعير والقطن [حتى وقتٍ قريب] عماد المحاصيل الزراعية في المحافظة، وتشكّل الثروة الحيوانية المصدر الثاني للدخل<sup>(7)</sup>. ضمن حدودها الجغرافيّة يقع كلُّ من سد الفرات، المصدر الأساسي لمياه مشاريع الري، ومصدر رئيسي للكهرباء، وسد البعث الذي يولد الكهرباء أيضاً، والمحافظة ذات بنية عشائريّة حيث ينتمي سكانها لعدّة عشائر رئيسيّة لها امتدادات في المحافظات السورية ودول الجوار.

مما سبق يمكن الاستنتاج أن المحافظة ذات موارد «مستقلة» لا ترتبط بالمركز السوري، فهي تستطيع أن تدير شؤونها بنفسها، وتأثر السكان سيكون محدوداً في حال انقطاع اتصالهم مع بقية أجزاء البلاد نتيجة للظروف الراهنة. ووجود حدود مع تركيا يجعل النظام عاجزاً عن حصارها، كما أن احتمالات النزاع المسلح في المدينة تكاد تكون معدومةً فهي ذات بيئة سكانيّة متجانسة.

### الرقة عند تحريرها: صورة مختصرة

<sup>7</sup> - الخارطة الاستثمارية الزراعية بالرقة - موقع وزارة الزراعة السورية - بدون تاريخ - <http://goo.gl/xDnOV7>

كانت مشاركة الرقة في أنشطة الثورة عندما كانت سلمية متفرقة ومتقطعة، رغم أنها خرجت بمظاهرة بأعدادٍ معقولة في جمعة 25 آذار 2011، إلا أن النشاط في المدينة والمحافظه بقي منقطعاً وغير مؤثرٍ حتى المظاهرة الكبرى التي حدثت بتاريخ 16-3-2012 عند تشييع الشهيد علي البابنسي. وارتكب النظام يومها مجزرة راح ضحيتها عدة أشخاص عند محاولة العائدين من التشييع اقتلاع تمثال لحافظ الأسد الرئيس السابق<sup>(8)</sup>.

كان العمل المسلح في باقي الأنحاء السورية قد قطع شوطاً لا رجعة فيه، وتضاءل مردود العمل السلميّ، لكن هذه المظاهرة أحييت الآمال في عودة الحراك السلميّ إلى محافظاتٍ سوريةٍ أخرى.

#### - تل أبيض: نقطة تحوّل

بدأ العمل العسكريّ في المحافظة في المناطق المحاذية للحدود التركية في منطقتي تل أبيض وسلوك، وتمّ "تحرير" تل أبيض بتاريخ 19 أيلول/سبتمبر من العام 2012 ليكون ذلك نقطة تحوّل في العمل العسكريّ والمدنيّ أيضاً في المحافظة، فتل أبيض معبرٌ حدوديّ مع تركيا، ذلك أمن طريقاً آمناً للإمداد التسليحيّ والتموينيّ، وكذلك دخول "المجاهدين" الذي بدأ على استحياء في بداية الأمر، والذين تمركزوا بداية في ناحية سلوك، في وقت كانت تركيا فاتحةً الحدود على مصراعيها في النقاط التي سيطرت عليها الكتائب المسلحة التي تقاتل النظام.

تجربة تل أبيض كانت بدايةً مشجعةً للعمل المدنيّ، لم يكن الإسلاميون حينها ذوي وزن يذكر في العمل العسكريّ في تلك المنطقة، فالسيطرة على تل أبيض تمت من مسلحين من المنطقة شكّلوا على عجلٍ مجموعاتٍ وكتائبٍ مسلحة، وكذلك تشكّل مجلسها المحليّ الذي أدار المدينة، وبقي المعبر تحت سيطرة كتائب مسلحة من أهل المدينة "الفاروق" و"شيخ الإسلام"، حتى سيطرة "أحرار الشام" عليه في وقت لاحق<sup>(9)</sup>.

شكّلت ناحية سلوك القريبة من تل أبيض، معقلاً أساسياً لجبهة النصرة التي بدأت تطلّ برأسها شيئاً فشيئاً مع تزايد عدد مقاتليها في أنحاء سوريا كلّها، وزيادة الدعم المقدّم لها من الجهات الخليجية الأهلية والرسمية. لكن البنية السكانيّة للمدينة الصغيرة حالت دون سيطرة صارخة

<sup>8</sup> - قصة الشهيد علي البابنسي - مركز دمشق لحقوق الإنسان - بدون تاريخ - <http://goo.gl/tPnEVO>  
<sup>9</sup> - تقرير مرئي عن معبر تل أبيض الحدودي - موقع حركة أحرار الشام - 25 آب 2013 - <http://goo.gl/Gc5YDN>

للنصرة على المدينة فأمر النصر في تل أبيض هو أحد سكان المدينة. لكنهم في سلوك القريبة رفعوا رايتهم على السارية وسيطروا بشكل تام على "الناحية" وخضعت لإدارتهم.

#### - الطبقة: نقطة اختبار

كانت مدينة الطبقة إحدى مناطق النظار في المحافظة، وتحررت بتاريخ 12-2-2013 قبل أقل من شهر من تحرير مدينة الرقة<sup>(10)</sup>، وسبق التحرير الكامل لمدينة الطبقة مشهد حرق تمثال حافظ الأسد في المدينة<sup>(11)</sup>؛ وتحظى مدينة الطبقة بأهمية لرصد التطورات التي حصلت في المحافظة؛ فهي الوحيدة التي كانت تحظى بتنوع سكاني واسع نتيجة سكن العاملين في سد الفرات في المدينة، القادمين من مختلف مناطق سوريا وكان فيها أديان وطوائف متعددة، لكن ريفها كان متجانساً ومن عشيرة واحدة تقريباً، وشكل أبناء الريف العماد الأساسي للحراك الثوري في المدينة، وتشكلت فيها لاحقاً "كتيبة أحرار الطبقة" من أبناء المنطقة وحافظت في البداية على حماية السكان، إلا أن مناخ التطرف بدأ يتسلل شيئاً فشيئاً مع دخول جبهة النصر إلى المنطقة ومبايعة عدد من السكان لها، ليهاجر كل سكان البلدة إلى مناطقهم لتصبح خالية من أي تنوع سكاني، وتشكل في الطبقة مجلس محلي، أدار شؤون البلدة وقام بالأعمال الأساسية البسيطة التي يحتاجها السكان. لكنه قام أيضاً بتوزيع المنازل المستولى عليها والتي تخص موظفي النظام والمدنيين والعسكريين من العلويين. لكن أبناء المدينة وكتيبة أويس القرني العاملة فيها والتي تتشكل من أبنائها، قاموا بحماية عشرات "الأسرى" الذين وقعوا بأيديهم خلال "التحرير" وعاملوهم معاملة حسنة، وأخفواهم عن الكتائب المتطرفة التي كانت تريد أن تقترب بهم إلى الله<sup>(12)</sup>. حتى عملية تسليمهم للنظام بتاريخ 17-3-2014. والتي اكتنفها الغموض<sup>(13)</sup> <sup>(14)</sup> <sup>(15)</sup>.

<sup>10</sup> - الحر يسيطر على مدينة الطبقة - موقع قناة الآن على يوتيوب - 12 شباط 2013 - <http://goo.gl/mldBg6>

<sup>11</sup> - حرق أكبر تمثال لحافظ الأسد بالطبقة - يوتيوب - 11 شباط 2013 - <http://goo.gl/GWRSxJ>

<sup>12</sup> - قام الكتائب بزيارة لهؤلاء الأسرى وأطلع على أحوالهم في مكان احتجازهم في شهر آذار من العام 2013 في عملية وساطة للإفراج عنهم لكنها لم تسفر عن شيء.

<sup>13</sup> - الغموض يكتنف عملية الإفراج عن 48 عسكرياً نظامياً... - الشرق الأوسط - 19 آذار 2014 - <http://goo.gl/2PTT9>

<sup>14</sup> - هكذا تأمر داعش والنظام على الحر بالرقعة - جفرا بهاء - العربية نت - 20 آذار 2014 - <http://goo.gl/LUzPwm>

<sup>15</sup> - تحرير أسرى الطبقة... - أحمد العربي - الجزيرة نت - 19 آذار 2014 - <http://goo.gl/ag01vQ>

## - مدينة الرقة: لحظة سقوط التمثال

قبل يومين من "تحرير" مدينة الرقة أعلنت كتائب مسلحة معارضة للنظام، عن بدء "غارة الجبار" [2-3-2013] التي استهدفت في اليوم التالي الحواجز التي على مداخل المدينة<sup>(16)</sup>، وانكفأ جنود الجيش النظامي الذين على الحواجز إلى وسطها، أو إلى "قيادة الفرقة 17"؛ وأعلن عن تحرير الرقة بتاريخ 4-3-2013، حيث تجمع الناس في ساحة "هبل" كما يسخر السكان المحليون من تمثال حافظ الأسد الرئيس السابق، وقام مجموعة من السكان بالمبادرة إلى سحل التمثال وإسقاطه في الواقعة الشهيرة التي تداولتها وسائل الإعلام مذكرة بلحظة سقوط تمثال صدام حسين<sup>(17)</sup>، وقام حسون المرندي [أبو طه] بالتبول على رأس التمثال أمام الحشد في صورة شهيرة أصبحت جزءاً من الذاكرة السورية، لكن قذيفة هاون أطلقت من فرع الأمن السياسي باتجاه الساحة قتلت 6 أشخاص وجرح العديدين. ليكتشف السكان أن الأمن السياسي إضافة إلى فرع الأمن العسكري ما يزال يتحصن فيهما عناصر وجنود للنظام؛ وتم تحريرها بعد عدة أيام عبر عمليتين تفاوضيتين منفصلتين أسفرتا عن وقوع عناصر الأمن السياسي أسرى لدى لواء التوحيد بينما قتل جميع عناصر الأمن العسكري.

أسفرت هذه العملية عن تحرير كامل المحافظة تقريباً، واعتقال أمين الفرع والمحافظ<sup>(18)</sup> الذين يعتقد أنهم قتلوا لاحقاً، بينما ذهب قائد الشرطة مع رئيس فرع أمن الدولة إلى تركيا باتفاق مسبق مع الكتائب التي شاركت في العملية؛ وبقيت فيها ثلاث نقاط للنظام؛ قيادة الفرقة 17 على تخوم المدينة الشمالية ومطار الطبقة العسكري واللواء 93<sup>(19)</sup>. وسيطرت "الدولة الإسلامية" عليها لاحقاً في العام 2014 بعد سيطرتها على المحافظة كاملة في بداية العام.

في أثناء التحضير لافتحام المدينة توافقت الكتائب المشاركة في العملية على منع دخول أي كتيبة من أي محافظة أو مدينة أخرى دون "مبايعة" أحد الكتائب المشاركة في العملية، والتي أبرزها لواء ثوار الرقة، وجبهة النصر والتي كانت قد نمت في منطقة تل أبيض، وحركة أحرار الشام الإسلامية، التي بايعها "لواء أمناء الرقة" التشكيل المدني العسكري في الرقة "بيعة

16 - بيان لحركة أحرار الشام والجبهة الإسلامية - موقع حركة أحرار الشام - 2 آذار 2013 - <http://goo.gl/Ukqumk>

17 - لحظة إسقاط تمثال حافظ الأسد في الرقة - قناة روسيا اليوم على يوتيوب - 2 آذار 2013 - <http://goo.gl/k1YFB4>

18 - أورينت تلقتي محافظ الرقة وأمين الفرع - قناة أورينت على يوتيوب - 6 آذار 2013 - <http://goo.gl/xqVA6Q>

19 - يوميات الرقة في ظل الحرية (2) - خلف علي الخلف - إيلاف - 7 أيار 2013 - <http://goo.gl/gt2w3l>

محددة<sup>(20)</sup>. إضافة إلى كتائب مسلحة أخرى تضاءل دورها تدريجياً واختفت أو انضمت إلى أحد هذه الكتائب. وأثناء وبعد عملية التحرير لم يحدث في المدينة حالات نهبٍ وفوضى وتمّت السيطرة على المباني الحكومية وحراستها، من قبل الكتائب المشاركة وسيطرت كلّ كتيبة على المبنى أو الدائرة التي "تحررها" وأدت البنية العشائريّة للمدينة دوراً أساسياً كقوة ردعٍ مضمرة للفوضى إضافة إلى البيان المذكور برفض دخول كتائب من خارج المدينة عدا حركة أحرار الشام.

### الخريطة العسكريّة من التحرير إلى سيطرة الدولة الإسلاميّة

عند تحرير مدينة الرقة برز دورٌ عسكريٌّ لأربع مجموعاتٍ عسكريّة رئيسة؛ لواء أمناء الرقة وهو تشكيلٌ مدنيٌّ عسكريٌّ قام بحراسة العديد من المنشآت في المدينة في الفترة الأولى لتحريرها، لواء ثوار الرقة، ويضمُّ مئات الشبان من أبناء المحافظة، وقام بدورٍ أساسيٍّ في حصار السجن المركزيّ وتحريره قبل تحرير المدينة، وحركة أحرار الشام الإسلاميّة التي دخلت المدينة وأغلب عناصرها من محافظة إدلب، وتمتلك أسلحةً متوسطة دون بقية التجمّعات العسكريّة نتيجة ارتباطها بالحركة الأم، وقامت بوضع يدها على المصرف المركزي الذي تواترت المعلومات بأنه يحتوي على أكثر من خمسة مليارات ليرة سورية نقداً، إضافة لوضع يدها على محتويات متحف الرقة الذي قدرت قطعه النادرة والتمينة فقط بـ 550 قطعة ونقلت إلى المصرف المركزي بالرقة ووجدت لاحقاً قطعاً منها في تركيا<sup>(21)</sup><sup>(22)</sup>، إضافة للعديد من المنشآت الرئيسيّة، وجبهة النصرّة التي احتلت مبنى المحافظة وكانت قليلة العدد لكنها كانت قوة ضاربة وملأت شوارع المدينة بشعاراتها وتحذيراتها من السرقة.

20 - التقى الكاتب بقائد لواء أمناء الرقة عبد المجيد العيسى "أبو طيف" عدة مرات، وهو رجل مشهود له بالاستقامة والنزاهة وإعلاء المصلحة الوطنيّة، ودار حديث عن تمكين أحرار الشام من المدينة بمساعدة "الأمناء"، فتحدّث أن بيعتهم لأحرار الشام كانت بيعة محدودة بالقتال ضد النظام ولم تكن مطلقة، واعترف بالأخطاء التي ارتكبها في هذا السياق. لكن اللواء بايع لاحقاً حركة أحرار الشام بيعة كاملة بتاريخ 19 أيلول 2013 بعد تغول الدولة الإسلاميّة في الرقة؛ واختطف قائده في بداية آب عام 2013 من الدولة الإسلاميّة.

21 - محتويات متحف الرقة في حماية المعارضة - سكاكي نيوز - 2 تموز 2013 - <http://goo.gl/IA4Yfm>

22 - آثار سوريا في مهبط الريح - يوسف دعيس - الحرمل - العدد الأول - 1 تشرين الأول 2014 - <http://goo.gl/056tp2>

بقي للنظام ثلاثة مواقع رئيسية في المحافظة؛ قيادة الفرقة 17 العسكرية التي تقع على حدود المدينة الشمالية، وتحلّ منطقة كانت مزرعة أبقار في السابق، ومطار الطبقة العسكري في محيط مدينة الطبقة، واللواء 93 الذي يقع بجانب قرية عين عيسى على طريق حلب - الحسكة، وقيادة الفرقة 17، استحدثت بعد انتفاضة الكرد في القامشلي عام 2004.

تمّ السعي من أبناء المدينة لتشكيل تجمعٍ عسكريٍّ موحد، ينبثق عنه مجلسٌ عسكريٌّ، وأصدر بياناً بمنزلة خطوطٍ عريضةٍ لهذا التحالف<sup>(23)</sup>، لكن حركة أحرار الشام التي تلتزم بمشروع حركتها الأم بقيت خارجه، إضافةً للدولة الإسلامية، وريثةً جبهة النصر في المحافظة، لكنه بقي مجرد إعلان لأنه لم يحظَ بدعم أيّ جهةٍ خارجية. إضافةً لبقاء القوى العسكرية التي أصبحت رئيسية خارجه ولديها مشاريعها الخاصة التي لا تنتظر إلى المحافظة إلا كجزءٍ هامشيٍّ من مشروعها الأم.

شيئاً فشيئاً بدأت الخريطة العسكرية بالتبدل، فقد قامت "الدولة الإسلامية" بالقضاء على لواء أحفاد الرسول الذي قوي عوده في المدينة بعد التحرير، إثر مشكلةٍ بينهما، عبر تفجيرها سيارة مفخخة في مقره بالرقة<sup>(24)</sup>، واندمجت كتائب صغيرة بحركة أحرار الشام، وبدأ لواء الأمناء بالتلاشي، وورثت الدولة الإسلامية في العراق والشام، جبهة النصر في المدينة، وبقي لواء ثوار الرقة يقاوم الاندثار رغم شحّ موارده. انتهى لواء أمناء الرقة بخطف قائده من الدولة الإسلامية<sup>(25)</sup>، وانتشق أمير جبهة النصر السابق عن "الدولة" مع مجموعةٍ من المنتسبين للجبهة من أبناء المدينة وفروا إلى مدينة الطبقة التي كانت لا تزال خارج سيطرة الدولة، وبإيعاز لواء ثوار الرقة ولواء المنتصر جبهة النصر التي عادت إلى المدينة وتمّ تشكيل الفرقة 11 من كلّ الكتائب المناوئة للدولة الإسلامية<sup>(26)</sup>، وأصبحت في المدينة ثلاث قوى رئيسية؛ الدولة الإسلامية، وأحرار الشام، وماسمي الفرقة وهو تجمعٌ فضفاض. ورغم وجود "مجلس عسكري" في محافظة الرقة يتبع لهيئة الأركان إلا أن وجوده بقي اسمياً لا يذكر قبل التحرير كما بعده. وتشكّلت مجموعةٌ من أبناء المدينة للعمل على توحيد الكتائب العسكرية، وإبعادها عن داخل المدينة، وتأسيس جهاز

<sup>23</sup> - تلقى الكتائب نسخة من البيان في حينها.

<sup>24</sup> - استهداف مقر ألوية أحفاد الرسول في الرقة - قناة أورينت على يوتيوب - 13 آب 2013 - <http://goo.gl/wJmKPB>

<sup>25</sup> - بيان مشترك - موقع اللجنة السورية لحقوق الإنسان - 18 آب 2013 - <http://goo.gl/r5udCJ>

<sup>26</sup> - بيان تشكيل الفرقة 11 - يوتيوب - 16 تموز 2013 - <http://goo.gl/q3ZNru>

شرطة يتبع مجلس المحافظة، والعمل على إعادة المحاكم إلا أن هذه الجهود لم تحظَ بدعمٍ كافٍ وبقيت مبعثرة ولم تسفر عن شيء.

كان هناك نوعٌ من التواطؤ الصامت بين أحرار الشام والنصرة، وتركت أحرار الشام النصره ولاحقاً الدولة تظهر بمظهر الأخ الشرير، لتظهر هي رحيمة أمام تشدّد الآخرين. ومنعت التركيبة السكانية الدولة والأحرار من شطط التطرف في البداية، لكن الدولة ما إن هضمت الجميع حتى بدأت بتطبيق قوانينها. متحدىّة الجميع بشكلٍ سافر.

الدولة الإسلامية التي قامت بعيد إعلانها بقليل بإعدام ثلاثة أشخاص، في الساحة الرئيسيّة للمدينة، وكان الهدف من ذلك الإعلان العمليّ عن قيام "الدولة" الوليدة بممارسة سلطاتها، واستعراض للقوة في المدينة أمام السكان وأمام بقية الفصائل والتجمّعات العسكريّة. ورغم أن البيان موقع في آخره بالدولة الإسلامية في العراق والشام، إلا أن العملية نسبت لجبهة النصره محلياً وإعلامياً ولم تأتِ بالهدف المرجو منها<sup>(27)</sup>.

بعد إعلان الحرب على الدولة الإسلامية في مناطق سورية عديدة، وبدا أنها تتراجع أمام الكتائب والتجمّعات العسكريّة في مناطق متفرقة من سوريا<sup>(28)</sup>، انسحبت من مناطق مختلفة وعادت إلى الرقة التي أصبحت بمنزلة العاصمة لها، ووقعت الحرب مع الدولة الإسلامية في الرقة من الفصائل الأخرى كافةً في بداية العام 2014، واستطاعت تلك الفصائل السيطرة على مقرات الدولة التي بقيت تسيطر على مركزين أساسيين فقط؛ البريد وقصر المحافظة. إلا أن الانسحاب المفاجئ لحركة أحرار الشام من المعركة، نتيجة اتفاق على مستوى قيادة الحركة، عدّل ميزان القوى لصالح الدولة<sup>(29)</sup>، التي قامت بمذبحة بشعة للمقاتلين المنسحبين من أحرار الشام عند "القنطري" قتلت منهم 100 شخص على الأقل<sup>(30)</sup>، وكان من نتائج المعركة، سيطرة الدولة الإسلامية على المدينة هذه المرة كلياً لينسحب لواء ثوار الرقة باتجاه عين العرب /كوباني ليشارك لاحقاً في قتالها هناك بعد أن احتلت المدينة نفسها.

27 - النصره تعمد بالرصاص 3 مواطنين بالساحة العامة - يوتيوب - 15 أيار 2013 - <http://goo.gl/HVR6Yb>

28 - الدولة الإسلامية في العراق والشام ترد وتتمدد- فرانس 24 - 13 كانون الثاني 2014 - <http://goo.gl/Sjx0pa>

29 - وول ستريت جورنال: هكذا ساهم الأسد بصعود داعش - موقع وطن - 22 آب 2014 - <http://goo.gl/tvCnLi>

30 - "داعش" تعمد أكثر من 100 عنصر من "أحرار الشام" - قناة العالم - 13 كانون الأول 2014 - <http://goo.gl/FJG3fl>

## الإدارة المدنية بعد التحرير

شكّل خروج محافظة الرقة عن سيطرة النظام موجةً من التفاؤل في أوساط الثورة، واعتبرت بداية عملية لتحرير المدن والمحافظات السورية، كما أن عدم إشاعة الفوضى فيها أعطى دفعاً لمشجعي الخيار العسكري لإسقاط النظام؛ لكن المحافظة واجهت مسارات هلامية لتشكيل إدارة مدنية تملأ الفراغ الإداري الذي خلفه خروجها عن سيطرة النظام.

كان المجلس المحليّ لمحافظة الرقة تشكّل "كيفما اتفق" قبل تحرير المدينة؛ ذلك أن الائتلاف المشكل حديثاً، أعطى مقعداً في عضويته لكلّ محافظةٍ سورية، كتمثيلٍ للمجالس المحلية فيها، وقد اختار ممثلي المجالس المحلية أحد أعضاء الائتلاف المدعوم من قطر له، لتشكيل كتلة "قطرية" وازنة في الائتلاف ولم يعرف أحد من أين جاء بهؤلاء، ولم تكن الرقة في ذلك استثناء؛ فقد شكل مجلس المحافظة بمشاورات بين ممثل المجلس في الائتلاف والمحامي عبدالله الخليل وأعطيت حرية التصرف للأخير، الذي أعلن مجلسه من أورفة دون أسماء ودون أعضاء قبل تحرير المدينة.

بعد التحرير تشكّل مجلسٌ محليٌّ للمدينة وريف المركز التي تشكل نصف سكان المحافظة وتتركز فيها الخدمات، مدعومٌ من عدّة أشخاصٍ محسوبين على إعلان دمشق وآخرين من النخبة المتعلمة في المدينة ومتقفيها، وحصل تنازع صلاحياتٍ بين المجلسين انتهى عبر وساطة أفضت إلى حلّ الأخير نفسه وبقاء "مجلس عبدالله الخليل" كما يسمى في المدينة.

تشكّلت لاحقاً لجنةٌ من تسعة أشخاص لتشكيل مجلس محافظة ومجلس مدينة ومجالس بلدات تحظى بإجماع السكان على أن يبدأ أولاً بانتخاب أعضاء الأمانة العامة لمجلس المحافظة [101] شخصٍ وفقاً لعدد أعضاء مجلس المحافظة السابق]؛ ثم ينتخب هؤلاء مكتباً إدارياً لمجلس المدينة، ومكتباً تنفيذياً لمجلس المحافظة، حيث بقي "مجلس عبدالله الخليل"، حتى بعد اختطاف "عبدالله الخليل" من قبل جهة لم تحدد بشكل قطعي، المجلس الرسمي؛ لأنه يحظى باعتراف الائتلاف، ويمرّ الدعم الشحيح المقدم من الائتلاف عبره. وقد "ورث" ذلك المجلس، إثر اختطاف الخليل، مدير سابق للأوقاف في ظلّ النظام.



بدأ عمل اللجنة باختيار هيئةٍ ناخبيةٍ تتكون من مئات الأشخاص وتمثل قطاعات المدينة الاجتماعية والنقابية والعشائرية، وتحظى بتوزيع جغرافيٍّ أيضاً، لكن عمل اللجنة كان بطيئاً، وتم صياغة نظامٍ داخليٍّ للمجلس قبل الشروع بتأسيسه، وأُرفق بلائحة تمثل عدد السكان في المدينة وريف المركز لتوزع مقاعد الأمانة العامة بحصصٍ على أساسها، على أن تكون حصة المدينة وريف المركز 51 مقعداً.

وصلت اللجنة بشقّ الأنفس إلى انتخابات الأمانة العامة لحصّة المدينة وريف المركز، حضر من الهيئة الناخبة 250 شخصاً تقريباً؛ وتمّ انتخاب 51 عضواً في الأمانة العامة لمجلس المحافظة، وقاطعها مساندو مجلس المدينة المنحل تقريباً، إضافة لمساندي مجلس المحافظة القائم. بعد هذه الانتخابات تمّ تشكيل مكتبٍ إداريٍّ لمجلس المدينة وريف المركز، على أن يتمّ انتخاب مكتبٍ تنفيذيٍّ لمجلس المحافظة بعد أن تستكمل الأمانة العامة أعضائها بانتخاب مجالس المناطق ممثليها في الأمانة.

بقي مجلس المحافظة القديم قائماً حتى بعد خطف رئيسه من قبل "الدولة"، كما تواردت المعلومات؛ والذي نسب أيضاً خطأً لجبهة النصرة التي ورثتها "الدولة" في الرقة.

ونتيجة بطء عمل اللجنة المكلفة باستكمال الأمانة العامة ونتيجة عرقلة مجلس المحافظة القائم لأيّ انتخاباتٍ عبر تدخله مع مجالس المناطق لعدم انتخاب وتسمية ممثليها، لم يتشكّل مجلس محافظة وفق الآلية المقترحة، وبدعم من وحدة المجالس المحلية للائتلاف بقي مجلس المحافظة القديم قائماً بعد أن تمّ ترقيعه بأسماء تحظى بالمقبولية، وتمّ لاحقاً تشكيل مجلس محافظة جديد عبر توافقاتٍ بين المتصارعين على المجلس، لكن "الدولة الإسلامية في العراق والشام" كانت قد تمكّنت من السيطرة الكاملة على المدينة.

### المنظمات الشبابية والمهنية

أصيبت الرقة بحمّى تشكيل التجمّعات الأهلية، والشبابية والنسائية، فلأول مرة تشهد المدينة في تاريخها حرية التجمّع والتنظيم دون خوفٍ أو رقيب، وقد سعى أيضاً مجموعةً من أعضاء النقابات لتفعيل فروع النقابات القديمة وإجراء انتخابات جديدة وفصلها عن الاتحادات الرسمية

للنظام، إلا أن هذا المسعى فشل نتيجة وجود حقوقٍ ماليّةٍ لهذه النقابات ومكاسب للأعضاء خشي من ضياعها في حال الانفصال عن الاتحادات التابعة للنظام.

كان الأبرز في هذا الحراك التجمّعات الشبابيّة، التي سعى إليها شباب كانوا قد شاركوا في الحراك في عهد النظام، لكن هذه المنظمات عكست التصارع بين "التيارات" الموجودة في المدينة، ورغم ذلك استطاعت بعض المنظمات الشبابية أن تقوم بدورٍ ملحوظ في المدينة وكان أبرزها "تجمّع شباب الرقة الحر" و"حركة حقنا"<sup>(31)</sup> وضمّ هذان التجمّعان مئات الشباب المتحمّس للعمل العام.

ورغم أن الرقة أصبحت محجاً لمنظمات الـ NGO'S لسهولة الوصول إليها، ووضوح خريطة تجمّعات المجتمع المدنيّ، إلا أنها لم تقدم شيئاً يذكر، سوى بعض التدريبات لبعض الناشطين، وبعض المواد الإغاثية التي لم تكن المدينة بحاجةٍ ماسّةٍ لها ولاسيّما بعد نزوح اللاجئين من المدينة غداة تحريرها نتيجة تخوفهم من انتقام النظام.

## مشروع أحرار الشام

على هامش مشروع الإدارة المدنية التي كانت فعاليات المدينة تسعى لإقامته، وبالتوازي معه، استخدمت حركة أحرار الشام وجود قيادة الفرقة 17 غير المحررة، بمنزلة مسمار إلهاءٍ للكثائب العسكرية المحاصرة لها والتججج بها دائماً، لرفع شعار "لاصوت يعلو فوق صوت المعركة"؛ وكانت تزيد من سيطرتها على المدينة وتؤسس مؤسسات لإدارة قطاعات المدينة. وبعد فترة قصيرة استطاعت هضم أموال المصرف المركزيّ التي استولت عليها، إضافة إلى الآثار التي كان يحويها متحف الرقة؛ سهّل لها ذلك عدم وجود إستراتيجية عملٍ مدنيّ لبقية الفصائل المقاتلة. واستخدمت الحركة اللينّ في التعامل مع السكان، إضافة لعدم عرقلتها ظاهرياً لمشروع السكان للإدارة المدنية الذي يركز على مجلس المحافظة ومجالس المدن والبلدات، لأنه يعفيها من مسؤولية تدرّي الخدمات، وفي الوقت نفسه تستطيع السيطرة عليه متى شاءت حينما تكتمل مؤسسات إدارة "دولتها" التي تقوم بإنشائها ببطء في مناطق سيطرتها. حتى إن أمير الحركة في

<sup>31</sup> - التجمّعات الشبابية في الرقة - محمود الكراف - موقع أوكسجين - 17 حزيران 2013 <http://goo.gl/Pf8ZkB>

المحافظة كان لديه مستشارٌ عربيٌّ، على الأرجح من عناصر حركة حماس الإسلامية الفلسطينية<sup>(32)</sup>.

وقد أسست الحركة منذ البداية "الهيئة الشرعية" بالتوافق مع جبهة النصرة، لتكون بديلاً عن المحاكم ولتكون محللاً للنقاضي وكانت تحظى بقبولٍ معقولٍ من السكان ومن بقية الكتائب نتيجة فراغ السلطة، وحاجة السكان الملحة لجهةٍ تقاضٍ موحدة بعد أن أصبحت المدينة تحكم على شكل قطاعات من الكتائب المسيطرة. تعرّض عمل الهيئة في البداية التي تكونت من 5 أعضاء لكنها شهدت تبدلاتٍ ودعمًا من أحرار الشام ومن "الدولة" لاحقاً، التي سيطرت عليها سيطرةً تامّة فيما بعد.

ولإكمال مشروعها سيطرت حركة أحرار الشام على معبر تل أبيض بتاريخ 28/05/2013<sup>(33)</sup>. الذي شكّل نافذةً مهمّةً للمدينة لوصول احتياجاتها من تركيا، كما أن قرب المدينة منه [90 كيلو متر] جعل المدينة تتبضع احتياجاتها بشكلٍ فرديٍّ وتجاريٍّ من تركيا التي اعتمدت سياسة الباب المفتوح مع المعبر فكانت تسمح بمرور وعودة العابرين دون جوازاتٍ أو أيّ إثبات شخصية، كما سمحت بعبور السيارات من الطرفين، والتجأ العديد من السكان إلى مدينة أورفة القريبة وتل أبيض التركية "أقبا قلعة" نتيجة البنية السكانية المتصلة على طرفي الحدود.

وكان المعبر قبل ذلك تحت سيطرة لواء "شيخ الإسلام" الذي تشكّل في منطقة تل أبيض وسلوك من أبناء المنطقة، إضافة لـ "كتيبة الفاروق" وهي كتيبةٌ محليةٌ بايعت كتائب الفاروق التي تشكّلت في حمص واندثرت لاحقاً، وتعمل بمعزلٍ عنها، لكن أحرار الشام بسطت سيطرتها على المعبر بالقوة، وحاولت تنظيمه من الفوضى التي كان يعانيها، وأصدرت العديد من القرارات التنظيمية، وعيّنت مديراً للمعبر من كوادرها، قتلته لاحقاً الدولة الإسلامية<sup>(34)</sup>. وكانت قد جرت قبل ذلك مفاوضاتٍ مع لواء "شيخ الإسلام" لتسليم المعبر للمجلس المحلي، لكن أحداً لم يهتم في الائتلاف بتعزيز هذا التوجه.

<sup>32</sup> - التقى الكاتب برفقة عضو الائتلاف الوطني قاسم الخطيب بأمير حركة أحرار الشام بالرقة، والذي قال إن أموال المصرف المركزي ستصرف كرواتب للموظفين الذين انقطع رواتبهم، وإنهم بانتظار كشوفات العاملين؛ وإن الآثار محفوظة لديهم وستعاد للدولة عندما تقوم حكومة إسلامية! وقد قتل لاحقاً في العملية "الغامضة" التي استهدفت قادة أحرار الشام، في بلدة رام حمدان (ريف إدلب الشمالي) بتاريخ 9 أيلول 2014.

<sup>33</sup> - بعد انسحابات وخيانات - عبد المجيد العلواني - أورينت نت - 14 كانون الثاني 2014 - <http://goo.gl/4v4z14>

<sup>34</sup> - مقتل قيادي بحركة أحرار الشام - موقع كلنا شركاء - 31 كانون الأول 2013 - <http://goo.gl/mgjF3M>

## الدولة الإسلاميّة في الرقة

أعلنت الدولة الإسلامية في العراق والشام عبر تسجيل صوتيٍّ لأمرها أبي بكر البغدادي<sup>(35)</sup> الذي أضحى لاحقاً خليفةً للمسلمين بعد احتلال الموصل وخطبته الشهيرة في جامعها الكبير، حيث كشف عن وجهه بعد أن كان سرّاً غامضاً<sup>(36)</sup>.

بعد إعلان "الدولة" بفترةٍ قصيرةٍ جرى اجتماعٌ لقادة النصر في المدينة في جبل المنخر بمحافظة الرقة، أسفر هذا الاجتماع عن مبايعة فرع النصر بالرقة للبغدادي، ما عدا عدة أشخاص من قيادات النصر في المدينة تمّ اعتقالهم، أو تصفيتهم عبر تفجيرات لم يعلن أحدٌ تبنيها، وطالت التفجيرات آخرين منهم قادة كتائب. وبعد تزايد نفوذ "الدولة" فرّ قادة الكتائب غير الإسلامية خارج المدينة بعد أن شعروا أنهم جميعاً مستهدفون إضافةً لنشر الدولة شائعاتٍ عن قرب تصفيتهم لأنهم كفرة، بقي قائد لواء ثوار الرقة معانداً ومتخفياً ولم يغادر المدينة.

بدأت الدولة بتأسيس نواتها في المدينة فأنشأت مكتباً دعويّاً ومكتباً أمنياً ومكتباً لشؤون العشائر، والذي أصبح يتصل بشيوخ ووجهاء العشائر للحصول على بيعتهم وكان يستغل بعض المناسبات الاجتماعية لينشر فيديوهات عن بيعة الحاضرين للدولة تزويراً. وبدأت "الدولة الإسلامية" تحذر من الصحوات و"أذئاب الائتلاف"، وكانت هاتان التهمتان جاهزتين لمن يعارض الدولة، وبدأت مسلسل الخطف والاعتقال للعديد من سكان المدينة والناشطين الشباب، أبرزهم قائد لواء الأمناء الذي كان يعارض تمدد سلطة الدولة، وكذلك خطفت الراهب اليسوعيّ الأب باولو دالوليو 29 تموز 2013، والذي سلط عليها الضوء إعلامياً في وسائل الإعلام العالمية، لكنها أيضاً اعتقلت آخرين بقضايا جنائيةٍ أو شبهات مالية تخصّ أموال الإغاثة التي خصّصت للمدينة حتى قبل سيطرتها، لتحصّن سمعتها أمام السكان.

بقيت الدولة متساهلةً في تطبيق "شريعته" وقوانينها ولجأت إلى الدعوة والخطب في المساجد وتوزيع المنشورات والملصقات واستخدام لوحات الإعلانات التي كانت تحتلها حركة أحرار الشام. وقامت خلال تلك الفترة بعددٍ من الإعدامات في ساحات المدينة لكنها تساهلت في البداية مع

<sup>35</sup> - إعلان الدولة الإسلامية في العراق والشام - يوتيوب - 9 نيسان 2013 - <http://goo.gl/x2iP0K>

<sup>36</sup> - خطبة الجمعة في الموصل... لأبي بكر البغدادي - قناة الجزيرة على يوتيوب - 5 تموز 2014 - <http://goo.gl/Z0IUsv>

الاحتجاج على هذه الإعدامات فقد نصبت حركة حقنا خيمة أسمتها "خيمة عزاء وطن" في مكان إعدام ثلاثة أشخاص لم يكن لهم تهمة سوى كونهم "تصيرية" بحسب بيان القتل<sup>(37)</sup>؛ ورفعت الحركة شعار ساحات الحرية ليست ساحات إعدام<sup>(38)</sup>. لكن هذا القتل نسب لجبهة النصرة "خطأ" كما مرّ معنا.

وقامت الدولة لاحقاً باستعراضٍ إعلاميٍّ جعلها في بؤرة الضوء، حين كسرت صليب كنيسة الشهداء<sup>(39)</sup>، التي تعتبر إحدى أقدم كنيستين في المدينة، ورفعت علمها مكانه، لكنها تساهلت مع مظاهرةٍ احتجاجيةٍ خرجت ضدها من التجمّعات الشبابية في المدينة، رفع المشاركون خلالها الصليب<sup>(40)</sup>. إلا أن "الدولة" قامت لاحقاً وقبل نهاية العام بطلاء حائطها الخارجي باللون الأسود وجعلتها مكتباً دعويّاً!

وبدأت بالتضييق في مسألة بسطات الدخان المهرب. ومُنعت الخمر منذ البداية في المدينة بعد تحريرها. لكنها بعد أن بسطت سيطرتها بدأت تطبيق قوانينها؛ اللباس الشرعي للمرأة، الإغلاق وقت الصلاة، وقامت ببعض الإعدامات التي كانت تهدف منها للترهيب أكثر منها سياسيةً ممنهجةً في المحافظة، وفي الغالب كانت تختار أشخاصاً ضعفاءً من خارج المدينة لتعدمهم وترهب السكان.

أعلنت الدولة عن نفسها بوضوح، وطبقت قوانينها بشكل تامّ وسافر، واستخدمت القوة العاربية ضدّ الجميع، بعد أن احتلت مناطق شاسعةً من العراق حتى تخوم بغداد بما فيها الموصل ثاني أكبر المدن العراقية في 10 يونيو 2014<sup>(41)</sup>، إثر فرار قوات الجيش العراقيّ تاركة وراءها الثروات والمعدات العسكرية غنيمةً سهلةً للدولة ومقاتليها، وبدأت بعد قليل بفرض الجزية على المسيحيين وتكفير الإيزيديين ومحاصرتهم في العراق، وبدأت الموصل تصبح عاصمتها الأساسية، لتبقى الرقة عاصمتها السورية.

<sup>37</sup> - النصرة تعدم بالرصاص 3 مواطنين بالساحة العامة - يوتيوب - 15 أيار 2013 - <http://goo.gl/HVR6Yb>

<sup>38</sup> - خيمة عزاء وطن - قناة حركة حقنا على يوتيوب - 20 أيار 2013 - <http://goo.gl/62rpWa>

<sup>39</sup> - داعش تكسر الصليبان على كنائس الرقة - جفرا بهاء - العربية نت - 26 أيلول 2013 - <http://goo.gl/qP0Bo2>

<sup>40</sup> - مظاهرة في الرقة للتأكيد على وحدة السوريين - قناة الآن على يوتيوب - 26 أيلول 2013 - <http://goo.gl/XGfQn1>

<sup>41</sup> - داعش تسيطر على الموصل شمالي العراق - موقع BBC عربي - 10 حزيران 2014 - <http://goo.gl/dLRB76>

## الائتلاف وأصدقاؤه الدوليون: فرجة متقطعة على مصير المحافظة

وقف الائتلاف موقف المتفرج على المدينة، كما كان يفعل تجاه كل مناطق سوريا، فقد حكمته الاعتبارات السياسية الدولية وحوّل عليها أكثر من الالتفات للداخل السوري برمته<sup>(42)</sup>، ولم تكن الرقة في هذا استثناء؛ لكن الرقة كان يمكن لها أن تشكل نقطة انعطاف في مسيرة الائتلاف ككل، لأنها محافظة كاملة شبه محررة، ولديها معبرٌ حدوديٌّ مع دولة حليفة للائتلاف ويمكن تحرير المراكز الباقية للنظام بسهولة فيما لو كان هناك جدية من الائتلاف وهو ما فعلته "الدولة الإسلامية" لاحقاً عندما سيطرت سيطرةً كاملةً على المدينة.

الدول الغربية اتصلت بالعديد من الناشطين والفاعلين في المدينة عبر نقاطها التي أنشأتها في تركيا للاتصال بالمعارضة السورية، لكن هذه الدول وعلى رأسها أمريكا لم تقدم شيئاً، حتى ما يماثل ما قدمته في المدن الأخرى، ورغم الوعود الفائضة والمكررة بدعم المجلس المحلي لتأسيس جهاز شرطة ودعم الإدارة المحلية إلا أن شيئاً من هذا لم يحصل وتركت المدينة تواجه مصيرها<sup>(43)</sup>.

وحتى سيطرة الدولة الإسلامية بقيت الكثير من المؤسسات تعمل بموظفيها السابقين تحت شعار "إبقاء ما كان على ما كان" الذي رفعه لواء الأمناء ودافع عنه، ما عدا الأشخاص الذين عليهم تهم محددة بالتعامل مع النظام في التشبيح على سكان المدينة الذين فروا أساساً بعد تحريرها.

## التحالف الدولي لمواجهة الدولة

ما إن ظهر خليفة المسلمين بخطبة جامعة في الموصل حتى أثار قلقاً إقليمياً، من امتداد سلطان دولته إلى دول الخليج والأردن، إضافة لتحركه المستمر باتجاه بغداد، تسارعت الاتصالات

<sup>42</sup> - التقى الكاتب بعد زيارته للرقّة برئيس الائتلاف أحمد معاذ الخطيب باجتماع رسمي وأطلعته على الوضع في الرقة واحتياجاتها، وإمكانية أن تصبح مقراً للائتلاف إذا استطاع تجنبها طيران النظام، وأكد رئيس الائتلاف في حينها، أنه سيعي للحصول على مساعدات من مؤتمر أصدقاء سوريا الذي سيعقد في 20 نيسان 2013 في اسطنبول، وأنه إذا لم يحصل على معونات حقيقية من ضمنها ما ذكرته له، سيسئّل، وهو مافعله لاحقاً. كما التقى الكاتب لاحقاً برئيس الائتلاف أحمد الجربا والعديد من أعضاء الائتلاف المؤثرين وأطلعهم على الوضع في الرقة وعلى تمدد الدولة الإسلامية، وإن المدينة بحاجة لتدخل عاجل من الائتلاف قبل أن تسيطر عليها الدولة الإسلامية، إلا أن الجميع كانوا عاجزين لأسباب موضوعية وذاتية تخص الائتلاف.

<sup>43</sup> - التقى الكاتب بعدد من موظفي نقاط الارتباط بالمعارضة السورية التي أقامتها أمريكا وعدد من الدول الأوروبية في تركيا، والتي تعنى بدعم التحول الديمقراطي ودعم التجمعات المدنية في المناطق المحررة، وأبرزهم السيدة ماريا استيفان وأليكسندر فيتشر من مكتب دعم الاستقرار في مناطق النزاع التابع لوزارة الخارجية الأمريكية وتم البحث في احتياجات المدينة مع وعود بدعم مجلسها المحلي ليكون سلطة قادرة على القيام بأداء مهامها، إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث.

والتحركات الدولية ضد الدولة الإسلامية، وكان أحد الشروط الأمريكية لدعم الحكومة العراقية لمواجهة الدولة الإسلامية، إبعاد المالكي عن رئاسة الحكومة العراقية وتشكيل حكومة تمثل كلّ التيارات السياسية والكتل السكانية<sup>(44)</sup>، وما إن تشكلت تلك الحكومة حتى بدأ تحركٌ دوليٌّ ضدّ "الدولة الإسلامية" التي صار لديها موارد نفطية وسيولة نقدية من بنك الموصل وتجهيزات عسكرية متطورة "غنمتها" من الجيش العراقي.

وقد عيّنت أمريكا جنرال الصحوات السابق، الذي يحظى بعلاقاتٍ جيدةٍ مع العشائر العراقية مفوضاً للتحالف في المنطقة، الذي تحدث عن إشراك السكان في المواجهات<sup>(45)</sup>. ورغم بدء حملة التحالف ضد الدولة الإسلامية إلا أنها بقيت دون تأثيرٍ يذكر على قوة الدولة الإسلامية بعد مضي نحو ستة أشهر على بداياتها.

## الخاتمة

أصبح هناك مسافةً كافيةً تفصلنا عن "فترة التحرير"، التي عاشتها الرقة، كافية لأن نرى المشهد بوضوحٍ يمكن استخلاص أسباب الفشل منه. فالقوى المحلية والسكان في المدينة لم يكن لديهم خبراتٌ في مواجهة أوضاعٍ شبيهة، كما كان ينقصهم التأهيل في إدارة النشاط السياسي والمدني والذي جاء لأسبابٍ موضوعيّةٍ تتعلق بوضع سوريا في ظلّ النظام، إضافة لاستعجال كلّ من "هب ودب" للحصول على المكاسب قبل أن يتمّ "حصاد الحقل"، وضيق الأفق في النظر إلى لحظةٍ تاريخيةٍ حاسمةٍ في مسار الثورة السورية، والدخول في سراديب تجبير المكاسب من بعض بقايا القوى السياسية الميّنة في المدينة.

كما أن الائتلاف الوطني بشكلٍ أساسيٍّ إضافة لقوى المعارضة الأخرى تعاملوا مع المدينة وكأنّ ما يجري فيها يجري في "دولة أرض الصومال"، ولا يشكل منعطفاً حاسماً في تمكين مسار الثورة السورية وإظهارها للعالم كثورةٍ لديها تمثيلٌ [كي لا نقول قيادة] يتحلّى بالمسؤولية تجاه شعبه ويعمل بشكلٍ جادٍ لتمكين الناس من إدارة شؤونهم بحريةٍ وتعزيز العمل الديمقراطيّ وتمكين المكونات المحلية من بناء قدرات الإدارة بما يسهم في رسم الصورة المستقبلية لسوريا.

<sup>44</sup> - شروط واشنطن تضيق الخناق على المالكي - علاء يوسف - الجزيرة نت - 21 حزيران 2014 - <http://goo.gl/A1D700>

<sup>45</sup> - جون آلن منسقاً للتحالف ضد تنظيم الدولة - الجزيرة نت - 13 أيلول 2014 - <http://goo.gl/4d4yUz>

و لا يزال عدم دعم الحكومة الأمريكية والأطراف الدولية المشاركة في التحالف المجتمعات المحلية لتقاوم نشأة الدولة من أساسها، ولتنتشىء سلطاتها وإداراتها المدنية قبل احتلال الدولة لأجزاء شاسعة من العراق، لغزاً عصياً على الفهم؛ فقد كان دعم التشكيلات المدنية في محافظة الرقة، وكذلك التشكيلات العسكرية التي لم تكن تتبنى الإيديولوجيا الإسلامية والتي واجهت "الدولة"، بكلفة طلعة جويّة واحدة كافياً لمنع قيام هذه "الدولة"، أو خنقها في مهدها ومنع تمددها.

قوى التحالف هذه التي تقودها أمريكا عادت لطرح السيناريو القديم لمواجهة "الدولة"؛ ضربات جوية وتحالفٍ أرضيٍّ من سكان المناطق التي تحت سيطرتها. بعد أن أصبح ذلك عسيراً، فالدولة لم تعد تتهاون في تطبيق شريعتها بما فيها تهمة العمالة؛ وقامت بإعداماتٍ واسعة في مناطق نفوذها في محافظة دير الزور، لأبناء عشيرة الشعيطات الذين واجهوا نفوذها، حيث كانوا يسيطرون على آبار النفط قبل تمددها إلى مناطقهم، وأصدرت بحقهم حكم الإجماع، لتسمح لهم بالعودة لاحقاً إلى ديارهم شرط الالتزام بشروطٍ وضعها أبو بكر البغدادي، والتي أبرزها الاعتراف بأن من قاتلهم مرتدّ، والشاوية بكلّ من قاتلهم أو خبأ أسلحة<sup>(46)</sup>.

وهكذا شكّلت الرقة فرصةً مهدورةً لتأسيس سلطةٍ محليّةٍ لقوى الثورة والمعارضة، ولتشكيل نموذج يحتذى لباقي المناطق التي تخرج عن سيطرة النظام، لكن أحداً لم يهتم، كان ينقص الائتلاف الوطني وحكومته لاحقاً الإرادة، والمسؤولية، والحس الوطني، وبناء إستراتيجية للتعامل مع المناطق المحررة بشكلٍ مدروسٍ يستجيب للخصائص المحلية وللمستجدات التي تظهر في سياق الأحداث، لقد كان رهانهم دائماً على القوى الدوليّة دون أيّ إيمان بإمكانية التأثير في الوضع السوري من خلال القوى المحلية، الوضع السوري الذي صار معقداً وعصياً على الفهم حتى من السوريين أنفسهم وليس من الناس في أطراف العالم الذين يهتمون بنفوق الأسماك لأسبابٍ مجهولة أكثر من الاهتمام بالموت الجماعيّ للسوريين لأسبابٍ معلومة.

<sup>46</sup> - داعش لعشيرة الشعيطات: اعترفوا بأن من قاتلنا مرتد- العربية نت- 6 تشرين الثاني 2014 - <http://goo.gl/gVKPue>